هكذا قلبي

طوال الوقت ـ الليل.. النهار ـ وأناملي تتحسس، تتراقص على الحروف، تتناقل فيما بينها.. تخط أجمل الكلمات والمعاني والألحان على رسائل هاتفي، أحمله بجوار قلبي رغم كثرة التحذيرات، وأحس بنبضه وأذني تتلهف، ترصد رنين رسائله ما بين اللحظة والأخرى.

أعيش على أوتار حروفها ما بين السطور، نعيش معًا رغم بُعد المسافات، وأحسه يفتح جناحيه ويطير ويحلق من حولي.

لوهلة من الوقت، ظننت أنه سيحلم وأنا من يحقق أحلامه، أراه من أمامي هنا وهناك بهمساته ونور عينيه السمراوتين، منذ أن رأيته أول مرة وهو يجلس على الطاولة داخل المقهى الكبير بمعطفه الأسود الثقيل، الذي كاد أن يخفي وجهه الأبيض، وحذائه الشتوي ذي الرقبة الطويلة، وأمامه على الطاولة فنجان القهوة تتصاعد منه الأبخرة، رأيته بالأمس القريب يجلس على سجيته في نفس المكان، وما أن يحتسي رشفات من القهوة، حتى

يغادر في هدوء وكأنه ينسحب من الحياة، أمسيت أنتظره وانتظرته ولم يأتِ، انتظرته طويلًا يدفعني الحنين إلى رؤياه وأخذت أبحث عنه هنا وهناك، في الطرقات، في الأسواق، في المقهى الكبير، حتى وجدته يتوهج نور وجهه، فتمنيت أن أعيش في نور عينيه، وأن أرى ابتسامته التي خلعت قلبي من مخدعه وأسرته من سباته العميق.

قابلته هذه المرة بشغف لم أعهده، كانت لديَّ رغبة شديدة للتقرب إليه، لم أكن أدري ساعتها أن هناك شيئًا ما يجذبني يدفعني إليه بكل قوة.

اقتربت منه أحادثه، ارتعشت شفتاي وارتجفت، ونبض قلبي رغمًا عني وتساءلت: ولماذا الآن؟

ولماذا أنت؟ ولماذا أنا؟ فليس بيدي، ليس بمقدوري.

ومنذ تلك اللحظة وأنا أشهد حبه، حنينه الذي يشبه النهر الصغير الذي يكابد في صمت ليصنع طوفانه الصغير، فيغمرني بحبه وينأى بي بعيدًا عن همساتهم وأعينهم.

يعرف ارتباكي، فأنا لا أتحمل أن ترمقني الأعين وتلوكني الألسن وترفضني العادات والتقاليد.

أصبحت أهيم بروحي من حوله، لعلي ألمس نوره ليلة سقوط القمر فيعرفني ويفتح جناحيه، يضمني ويحتضنني، ثم أترك قلبي هائمًا من حوله، وأنصرف حتى نلتقي من جديد، تلامست الأنامل

وكان لصدى حديثهما معًا معنى جديد، من معاني الحب والوفاء لم أعهده من قبل.

قال لي ذات مساء: اعلمي أنكِ بعيني أجمل بكثير من عيناك! إنها الأرواح التي جمعتنا حينما رفرفت بجناحيها في السماء حول المقهى الكبير في تلك الليلة.

ساعتها أحسست كم أعشقه، وكيف لا أدرى!

إنني أثق أنني أعرفك منذ زمن بعيد، وكم أنا مخلوق ضعيف أمام مشاعر تأججت بأعماقي! وكم أخاف عليك ولا يرضيني عذابك من حبي!

عدت، تراجعت خوفًا عليه من ذلك الطوفان الجارف وابتعدت.. وابتعدت حتى اقتربت لأجد نفسي عالقة في عالمه، أذوب عشقًا بحبه حتى إنني أرى القمر ساطعًا في وجهه، في منامي، ويقظتي.

رأيت الخوف في عينيه خشية أن يفقدني.. تسمرت في مكاني عالقة بحبه، لا أدري أأقترب أم أبتعد!

ومرت الأيام وكلماته ما زالت عالقة في مخيلتي تتردد على مسامعي، وَلِمَ لا؟! وإن أمكنني أن أفصل أرواحنا وأجسادنا عن بعضها ساعتها.. ساعتها فقط أستطيع أن أخبرك كيف كان وأنا؟ وكيف يكون وأنا؟ وكيف سنكون؟ حتى رأيته يجلس معها على الطاولة داخل المقهى الكبير يتبادلان الحديث، حاولت

أن أقترب، خذلني سريعًا في الوقت الذي كان فيه كل شيء في عالمي.. أحلامي.. منامي.. يقظتي.

عدت بين ليلة وضحاها على نبرات صوته وكأنني أفقد ذاكرة الأحداث كالمصابين بخرف الشيخوخة، رأيت نفسي غارقة في الأوهام ممعنة في عشقه أرفرف بأجنحتي فوق سحابات الأحلام، أغض طرفي عما حولي من مرير الحقائق والأحداث، أرهقتني كثيرًا هي تلك المشاعر، إشارة تلو الأخرى يرسلها عقلي أبى قلبي قراءتها، هكذا قلبي.